الوجه : الكذاب المفضل

جان كلود مارتان

ترجمة : حسن الطالب

تلعب الوجه مكانة فائقة في التواصل . ذلك أنه أكثر الأعضاء التي ننظر إليها عندما نتحدث مع شخص مافقيه تعبر الكلمات عن نفسها، وعليه ترتسم أكثر الأحاسيس دلالة ." **فالتأثر الأولي هو في المقام الأول، سلوك وجهي** " كما يقول **طومكينس** (Tomkins). غير أن هذا التأثر الأولي يمر عبر أربعمائة (400) توليفة ممكنة. فكيف نهتدي إليها إذن ؟

ريادة داروين في الاهتمام بالوجه

كان داروين، دون ريب، في مقدمة الباحثين الذين اهتموا بالحركات الإيمائية وبنقل الأحاسيس التي تترجمها. فبعد أن التمس من حوالي عشرين مراسلا في العالم تحديد ما تعني لهم تعابير الوجه المختلفة وحركاته الأخرى التي وصفها لهم، ترسخ اعتقاده في الطابع الكوني لبعض تعابير الوجه، وشرع في وضع تصنيف أولي للأحاسيس والانفعالات الأساسية عند الإنسان. نعم، لكن يضاف إلى هذه الأحاسيس عدد آخر من التعابير الناتجة عن حركة عضلات الوجه. وليس في وسع أي عضو آخر من أعضاء الجسم بسط وتطوير مثل هذه الشحنة من الأحاسيس والمشاعر.

وكثيرا ما يعاد، اليوم، تناول هذا التصنيف، رغم التعديلات الطفيفة التي أدخلها عليه بعض الباحثين. ولم تقدم مناهج القراءة المستندة إلى المقومات مثل تلك التي بلورها **ايخمان** Ekmanوفريسن Friesen **ومالستروم** Malstrom نتائج هزيلة لفك سنن دلالات حركات الوجه بطريقة تجريبية . وفي مقابل ذلك يلاحظ أننا نفلح، من خلال منهج الأحكام، في إدراك الحالة الشعورية للآخر بدقة متناهية.

" ماء الوجه "

عبارة بالغة الدلالة إن ضياع الوجه يعني ضياع أهم جزء من ذواتنا . صحيح أن كل مانراه نحن وندركه على وجوه الآخرين لايدركه الآخرون بالضرورة . ندرك ذلك ونعلم، وهوما اختبرناه منذ نعومة أظفارنا كنا نتعلم كيف نسيطر على هذا الجزء أكثر من باقي الأجزاء الأخرى. كنا نتعلم كيف نخدع عالمنا، سواء بتخصيص تعابيرنا الإيمائية للتعبير عن حالة شعورية معينة أو إبدالها بإيمائية تعبيرية مختلفة. وهذا ما دفع **ايخمان** إلى أن يطلق على الوجه صفة " الكذاب المفضل " .

ويفسؤلك بطريقة دفعت كثيرا من الباحث ين – بينهم ميهربيان **Mehrabian** -إلى البرهنة علـــى أنـــه كلما كانت الحركات تتم في موضع من الجسم قريب من الدماغ كلما تم التحكم فيها بشكل أفضل.

لاتواصل بدون تعبير وجهي

منطقتان للوجه :

من بين إيماءات وحركة الوجه نقف على أهمية منطقتين :

- منطقة العينين – تقطيب الحاجبين.
- الغمز.
- تقطيب الجبهة، خاصة ما يتصل بالنظرة التي سوف نتحدث عنها.
- منطقة تمتد من الذقن إلى الأنف مرورا بالفم.

وهي المنطقة الأكثر حركية، وما يحدث على هذا المستوى من الوجه أهم من كل الحركات الأخـــرى، مادامت أنها المنطقة التي تحيط بالفم، ذلك العضو الذي يتحدث ويبتسم .

كاركاتير التعابير **أعلى الوجه**

الحركة	الدلالة
النظرات المختلفة	أمر – المكر- الدهشة – المشكل - الألم
تقطيب الجبهة	الاستغراب – المشكل – الشك
تقطيب الحاجبين	المشكل – الحيرة
خفض حاجب واحد	الشك – الحيرة
جعيدات حول العينين	الابتسامة – اللطافة.

أسفل الوجه : الحركة **الدلالة**

- قبض المنخارين ...الغضب – القسوة
- فتح الفم الاستغراب – الفضول - الخوف
- ابتسام الفم أكثر من 50 ابتسامة مختلفة
- عدم اتساق حركات الفم التكشير – الارتياح
- عض الشفتين الكذب – المشكل-الصعوبة.
- خفض إحدى زوايا الفم الحزن – الاشمئزاز.
- إعلاء زاوية من الفم الرضى – الألم.
- قبض الفكين الألم – الغضب.

النظرة : * ازدراء أم تبادل ؟

حركات متبادلة :

إنها أول حركة عند اللقاء : نقول عادة **" لقد تبادلا النظرات "** .

تعد النظرة حركة ملامسة عن بعدولقد تحدثنا عن أهميتها التواصلية . فأن تنظر إلى شخص معناه أن تبدي اهتمامك به حوله. فالنظرة مثيرة للانتباه، حيث تكون القناة البصرية مفتوحة وتشتغل كمثير : **" أحس أنني محل نظر "** . لقد أبدعت الطبيعة صنعها إنها تقدم لنا بحركة شعر ة في العين (الحاجبان) لا تستطيع فعله ريشة فنان فالوجه منطقة تواصل أساسية . فالحاجب يشكل إشارة **"وسم"** بالعين. وهو طقس نكتشفه لدى جميع البلدان التي تنزل **" غمزة الحاجب "** منزلة دلالة على علاقة التقاء حبي / عشقي.وعندنا فإن **" غمزة الحاجب "** الحبية / العشقية التي تتمثل في رفع الحاجب، وبالتالي، فتح العينين واسعا كثيرا ما نظر إليها بوصفها علامة مؤقتة نوحي من خلالها إلى الآخر أننا رأيناه حتى إن كنا منشغلين بأشياء أخرى. وفي اليابان تعتبر هذه الحركة دلالة على الوقاحة وقلة الحياء. وبالمقابل، في ثقافتنا، فإنك عندما تتحدث إلى شخص أوتصغي وتشيح بوجهك إلى جهة أخرى فإنك تعبر عن الخجل والمحاشاة وعدم الارتياح أو ربما التأمل العميق. لكنك لا تقول للآخر **" أنا معك".**

وعبارة **" حدق في عيني عندما أكلمك"**طالما سمعناها عندما كنا أطفالا عبارة عن د عوة لتذكيرنا بضرورة الانتباه. إنها طريقة لصرف الآخر عن الانشغال بشيء آخر.

" حدق في عيني"

إن عبارة " هل في وسعك أن تكرر ما قلت وأنت تنظر إلي ؟" تأخذ الدلالة ذاتها، أي عدم التهرب.

انظر إلى عيني :

عادة ما تعتبر هذه النظرة مؤشرا على الصراحة .والواقع أن من يكذب في وجهك قد يمعن في النظر إلى وجهك أكثر من مجرد نظرة عادية ذلك ما أكدته تجاربنا التي قمنا بها في مختبر "السيكولوجيا الاجتماعية " بجامعة إيكس بروفانس . ويبدو، في الحقيقة، أن الكذاب يعوض نقصا معينا كي لا يفتضح أمره .ففي طفولتنا عودنا الكبار على أن يمرروا إلينا نظرات – ظنا منهم في سذاجتهم- حقيقية، عملنا، عندما أصبحنا كبارا، على التحكم فيها كي نبر ئ أنفسنا من جميع الأخطاء والتهم، أي أن استعمال تلك النظرات يذهب حد التطرف في الاستعمال.

يمكن لنظرك أن تكون آمرة، توجيهية تأكيدلمنها على الانتباه، لكن في بعض الحالات قد توحي بالتهديد . فالنظر إلى الأخر في عينيه يأخذ، تبعا للمسافة والوضعية، والسياق، مظاهر مختلفة غاية في التباين . فقد يفهم من النظرة، في الدوائر الحميمية، أنها دلالة على العدوانية . لننظر مثلا إلى الطريقة التي ينظر بها، مثلا، متلاكمان إلى بعضها البعض، وجها لوجه **[مقربين أرنبة أنفيهما]**، و العين في العين، بهدف استفزاز الخصم.

يمكن للنظرة، كذلك، أن تدل على موقف متعال، تقييمي، توبيخي. وهده السلطة المهيمنة للنظرة نجدها في تعابير من قبيل : " غض بصرك، أيها الحقير" **أ و** " كف عن النظر إلي بهذه الطريقة ".

لكن داخل ه ذه الحميمية الشعورية فإن الجميع يعلم أن " النظر في العينين يعني النظر إلى الآخر في عمق أعماق روحه . وتغدو النظرة ، حينئذ، علامة على الاستمالة والإغراء، وتعبر سلطة أو قوة الإغراء هده عن نفسها في مجال الود والتعاطف والجنس، والنساء الإيطاليات با لخصوص يعرفن جيدا دور الإشارة الجنسية الناجمة عن التوسيع المتعمد لحدقة عيونهن . فهذا التوسيع للحدقتين يعتبر، سلفا، ظاهرة طبيعية ترتسم على وجهه شخص يبدي مزيدا من اليقظة والحذر.

أما آثار ذلك على الرجال فهم يفضلون، أمام صورتين لوجه نسوي واحد، الصورة التي تبدو فيها حدقتا العين واسعتين، أو تم تزيينهما لتبدوا كذلك.

- الوضعية الملتبسة : النظرة دعوة إلى التهرب.
- الوضعية الواضحة : النظرة تساعد على التقرب.

التواصل في وضعية واضحة :

إنها الوضعية التي نعيشها أثناء إجراء مقابلة، سواء عندما نخوض نقاشا مع شخص ما أو عند ما نقوم بإلقاء عرض أمام جمهور معين وهنا نجد الأدوار محددة، و الكل يعرف دواعي تواجد الطرف الآخر بعين المكان .وفي مثل هذه الحالة ينبغي لك أن تسعى إلى النظر إلى مخاطبك أو جمهورك دون أن تفرط في النظر إلى عيون كل منهما . بالمقابل عليك التفكير في نظرتك المتهربة كيلا تفهم أو تتلقى سلبيا.ولا تلن نظرتك سوف تعلمك، علم اليقين، بما يحدث لحظة ومكان تخاطبك أو جمهورك . فهذه المعلومات أساسية لأنها تساعدك على فك شفرة كل ما هو إشاري/ إيمائي، أي ما ليس لغة.

أقوال مأثورة حول النظرات الإيحائية

- راق لها في عينيها، كان ذلك ظاهرا للعيان. وبينما كانت تشيح بنظراتها إلى جهات أخرى، شرع يرشقها بنظراته كيما يمتع بصره منها.

- وفي لمح البصر أحست وكأنها أصبحت عارية في عينيه. وألقت بنظرها نحوه، بينما يرشقها بنظرات فاحشة.
- ولأنها كانت ممتلئة حيويةو شجاعة أوهمته أن لا حق له في أن ينظر إليها، وأنه أتى بذلك، جرما شنيعا وأنها لم تكن لها أي نية أبدا في التواصل معه.
- ولما كانت تحدق في عينيه أفهمته كم كان من الصعوبة بمكان الدفاع عن وجهة نظره مادام أن الحب أعمى.
- منذ الوهلة الأولى، لم يكن في الأمر ما يدهش، لكن عبارة " بعيدا عن الأعين، بعيدا عن القلب" في نظره تدل بخلاف ذلك، على أن من الحب ما قتل.
-احمرت وجنتاه عندما أدرك أنه كان يلتهمها بنظراته. قالت له، لننظر، ربما كانت عيناك أكبر من بطنك.

الابتسامة تواصل :

من المؤكد أن الابتسامة وليدة طقس للضحك فقد كان الضحك، في البدء، تعبيرا عدوانيا. وكان إظهار الأسنان طريقة لإلقاء الرعب في قلوب الآخرين .

ويكفي أن ننظر إلى الأطفال يلعبون لنتأكد من أنهم يتشاجرون وهم يضحكون . وفي جميع أفلام الرعب يضحك الشرير ضحكة شيطانية وماذا عن مصاصي الدماء إذن؟

تضايف (convivialité) : يفهم من الابتسامة التي تخفي الأسنان عندنا كتواصل أو تقارب مكاني، فالابتسامة تدل على اللاعدوانية ومن ثم فإنها دعوة إلى التضايف والتعايش.

وكثيرون هم الأشخاص الذين يرون أننا نعجز عن الابتسامة إذا ما تفوهنا بأشياء محزنة أو مدعاة إلى القلق .ومع ذلك فمن خلال تلك الابتسامة تمر الانفعالات والمشاعر ولا ننسى أن في وسع ابتسامة ما أن تكون محزنة ونستطيع من خلالها التعبير عن المودة والمحبة من خلال ابتسامنا بالعينين.

وعندنا الابتسامة اعتراف بالآخرفهي تساعد على تداول المشاعر وتبادلها وتعلنون للآخر أنكم تبادلونه نفس المشاعر إن إلقاء التحية يكون مصحوبا دائما بابتسامة اعتراف تتمنى منها للأخر نهارا سعيدا. من ثم لا ينبغي الخلط بين الضحك والابتسامة.

ابتسامة صادقة وماكرة ؟

الابتسامة الصادقة في الولايات المتحدة هي تلك التي تبدي الأسنان العليا والسفلى، وهي عندنا في خانة المصطنع، فهي ابتسامة ماكرة وزائفة .ومن بين الخمسين ابتسامة المختلفة التي اكتشفها **ايخمان** يصعب على المرء أن يهتدي إليها جميعا .

فالابتسامة غير المنسجمة التقاسيم أو المتشنجة غالبا ما ينظر إليها على أنها ابتسامة ساخرة وهي تتجلى عند التعبير عن المشكل أو الانزعاج والخجل، كما لو أن القائم بها يريد التغ رير بأحد أوخداعه . لكنه لا يتمكن من ذلك.

ولاينبغي أن ننسى أن الابتسامة شئ أشبه ما يكون بالتثاؤب أي إشارة تستثير فعلا تواصليا ينطـــوي على رد فعل.

*** الأحاسيس الأساسية :**

1- الفرح / السعادة. **2-** الدهشة. **3-** الخوف. **4 -** الغضب. **5-** الحزن. **6 -** التقزز.

ويضيف الباحثون إلى هذا التصنيف ثلاثة أحاسيس أخرى : الرعب، الإشباع والرضى والرغبة. لكن هل يختلف الرعب عن الحزن ؟ وهل إبداء الرغبة يختلف كثيرا عن المفاجأة الرائعة ؟ الواقع أننا نجد تشابها بين علامات تشترك في التعبير عن الإحساس نفسه، ومن الصعب التمييز بينها بدقة.

تبادل النظرات

- في مكان اجتماعي متقارب أي (1،50 م إلى 1،80 م).

وأثناء مصادفتنا لشخص غريب نقضي مدة 60% من الوقت في مشاهدة الآ خر.غير أن النظرات المتبادلة (أي حينما ينظرالشخصان إلى بعضها البعض) لا تشكل سوى 30% من الزمن.

- عندما يتحدث شخص إلىخآـــر فإنـــه يصـــغي أكثـــر ، يســـتغرق أكثـــر (نســـبة 75% مـــن الزمن) من النظر إليه (41% من الزمن). ويميل النساء عموما إلى النظر أكثر من الرجال.

- وتزيد نسبة تبادل النظرات أثناء العلاقة بين الرجل والمرأة.

السامع أو الذات المخاطبة تميل أثناء تواجدها أمام مخاطب (أعلى مقاما) إلى النظر أكثر مما تنظر إليـــه عند الكلام. وبالمقابل فالأعلى مقاما، بالمقابل، فهو ينظر أكثر عندما يتحدث من نظره أكثر مما ينظـــر عندما يسمع.

ليستالنظرة التي ننظر بها إلى الآ خر، عند اللقاءمتشابهة عند جميـــع الثقافـــات . فـــالعرب وسكان أمريكا الجنوبية، وجنوبأوربا يميلون إلى نظرات أكثر حدة من سكان آسيا والهنود . وكذلك سكان أوروبا الشمالية . وعند العرب يُشيح المرء بوجهه يعد من قلة الأ دب والوقاحة أكثر مما هو عليه الحال عندنا.

أضف إلىذلك إذا كنت تشتغل مع يابانيين لا تستغرب إذا ما مالوا بأنظارهم كـــثيرا فـــ ذلك علامة على الاحترام كما عند الصينيين. فالنظر إلى الآخر عندهم علامة على العدوانية.